فضيلة الإمام

محمد متولي الشعراوي

رحمه الله

الـطـريـق إلـى الـجـنة

كما رسمه القرآن

إعداد

تيسير كمال عزب



دار الشريف للنشر والتوزيع

طنطا – مصر

ص ب : ٤٩٣

الرقم البريدي : ٣١١١١

ت : ٠٤٠٥٦١١٧٢٧

Dar-elsherif@hotmail.com

محمول : ٠١٠٥٦٣٧٦٣٢

مقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضـلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

أما بعد :

فإن الله سبحانه وتعالى فرض فرائض لا يجوز تضييعها ، وحد حدودا لا يجوز تعديها ، وحرم أشياء لا يجوز انتهاكها .

وقد قال النبي ﷺ (ما أحل الله في كتابه فهو حلال ، وما حرم فهو حرام وما سكت عنه فهو عافية فاقبلوا من الله العافية ، فإن الله لم يكن نسيا ثم تلا هذه الآية [وما كان ربك نسيا] . [رواه الحاكم ٣٧٥/٢ وحسنه الألباني في غاية المرام ص: ١٤]

والمحرمات هي حدود الله عز وجل قال تعالى : ﴿ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ ﴾

(الطلاق ٠٠١)

وقد هدد الله من يتعدى حدوده وينتهك حرماته فقال سبحانه : (ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين)

واجتناب المحرمات واجب لقوله ﷺ (ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم) [رواه مسلم : كتاب الفضائل حديث رقم ١٣٠ ط. عبد الباقي]

ومن المشاهد أن بعض متبعي الهوى ، ضعفاء النفوس ، قليلي العلم إذا سمع بالمحرمات متوالية يتضجر ويتأفف ويقول : كل شيء حرام ، ما تركتم شيئا إلا حرمتموه ، أسأمتمونا حياتنا ، وأضجرتم عيشتنا ، وضيقتم صدورنا ، وما عندكم إلا الحرام والتحريم ، الدين يسر، والأمر واسع ، والله غفور رحيم .

ومناقشة لهؤلاء نقول :

إن الله جل وعلا يحكم ما يشاء لا معقب لحكمه وهو الحكيم الخبير فهو يحل ما يشاء ويحرم ما يشاء سبحانه ، ومن قواعد عبوديتنا لله عز وجل أن نرضى بما حكم ونسلم تسليما .

وأحكامه سبحانه صادرة عن علمه وحكمته وعدله ليست عبثا ولا لعبا كما قال تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ ﴾

(الأنعام ١١٥)

وقد بين لنا عز وجل الضابط الذي عليه مدار الحل والحرمة قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ **(الأعراف ١٥٧)**

فالطيب حلال والخبيث حرام .

والتحليل والتحريم حق لله وحده فمن ادعاه لنفســه أو أقر بــه لغيره فهو كـافر كفرا أكبر مخرجا عن الملة قال تعالى : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢١﴾ ﴾

(الشورى ٠٢١)

ثم إنـه لا يجوز لأي أحد أن يتكلم في الحلال والحرام إلا أهل العلم العـالمين بالكتاب والســـنة وقد ورد التحذير الشـــديد فيمن يحلل ويحرم دون علم فقال تعالى : قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾

(النحل ١١٦)

لذا رأيت أن أقدم لكل مسلم الطريق إلى الجنة كما رسمه القرآن خاصة من كلام الله الذي بيده مفاتيح السماء والأرض والذي أعانه الله على تفسير كلامه فضيلة الشيخ الشعراوي وبعض من كتابات الإمام القرطبي رحمهم الله .

إعتمدت على ذكر الآية ثم كلام الإمام الشعراوي ووضعت بآخر الرسالة كلمات للإمام القرطبي ذكر فيها الجنة والطريق إليها كما رسمه القرآن وهذا ما وفقني الله له فرجاء تبليغي بما كان خطأ مني والحمد لله أولاً وآخرا .

تيسير كمال عزب

وعــد اللــه حـــق

قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ١٩٤ ﴾

(آل عمران ١٩٤)

أي : ربنا أعطنا ما وعدتنا علي لسـان رسـلك ، ولتسـمع قول الحق استجابة لهم :

قال تعالى: ﴿ فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٍۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ

وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ

عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ١٩٥﴾

(آل عمران ١٩٥)

ولنر اللفتة الجميلة في الاستجابة : (فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ

أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ

بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖ) . لقد كانوا يذكرون الله قياما وقعودا

وعلي جنوبهم ، ويتفكرون في خلق السموات والأرض ، ويخشون خزي الدخول إلي النار ، فدعوا الله بغفران الذنوب وتكفير السيئات . ودعوا الله أن يأتيهم ويعطيهم ما وعدهم به علي ألسنة الرسل .

لم يقل الحق سبحانه : استجبت لكم ، لكنه جعل الاستجابة هي قبول العمل فقال : (أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ) . فليست الحكاية كلاما يقال ، إنما يريد الله أن تدخل هذه المسائل في حيز التطبيق والنزوع العلمي

؛ فالمسألة ليست بالتمني فقط ، فقد وضع الحق سبحانه الشرط الواضح ، وهو العمل ، فمن يرد استجابة الحق سبحانه فلا بد له من العمل .

إن التفكير في بديع صنع الله تعالي لا يغني عن العمل ؛ لأن الحق سبحانه يريد التفكر فيه وأنت تعمل في أسبابه ؛ فأسباب الحق يجب ألا تشغلك عن الحق .

قال تعالى: ﴿ فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ ﴾

(آل عمران ١٩٥)

فالذين هاجروا من بلادهم وديارهم ، وابتعدوا عن أهلهم وأحبابهم ، دون إكراه فهجرتهم هذه هي نزع وجودي ، وانتقال من مكان إلي مكان جديد وكان ذلك في سبيل الله تعالي . أي : فالذين هاجروا وخرجوا بجزء من إرادتهم ،

وكـذلـك الـذين أخرجوا من ديـارهم ، وقاتلوا في ســـبيل الله وتحملوا الإيذاء وقتلوا ــ هؤلاء ـ ينالون التكفير عن السيئات ويدخلون الجنة .

لقد جاء الحق ســبحانه بالعملية التي تتضــح فيها الأســوة الإيمانية ؛ لأن الإنســان ينشـغل بماله وأهله ووطنه وباستبقاء الحياة ،فإذا ما ضـحي الإنسـان بهذا كله في سبيل الثبات علي كلمة الله أولا ، وإعلاء كلمة الله ونشرــها ثانيا ؛ فالمؤمن من هؤلاء لم يكتف بنفســـه ، بل جاهد في ســـبيل الله ؛ لتنتقل الحيـاة بحلاوتهـا إلي غيره ، وبـذلـك يكون قـد أحب لغيره ما أحبه لنفسه .

نخرج من كـل هـذا برؤيـة واضـــحة هي أن الفكر وحده لا يكفي وإذا قال واحد : إن إيماني حســـن فلا تأخذني بالمســـائل الشـــكلية ؛ نرد عليه قائلين : إن الله ليس في حاجة إلي ذلك ، ولكنـه يطلـب منك أن تعمر الكون بحركتك ، وأبرك الحركات وأفضــلها أن ترســخ منهج الله في الأرض ؛ لأنك إن رســخت منهج الله في الأرض ، أدمت للوجود جماله .

* * *

الطـاعــة والمــعصـــية

ضـــابـــــط الثـــواب والعـــقاب

قال تعالى : ﴿ ۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴾

والحق ســـبحـانـه يبين أمر هذه النجوى التي تحمل التبييت للإضـــلال ، ولكن ماذا إن كانت النجوى لتعين علي حق ؟ إنه سبحانه يستثنيها هنا ؛ لذلك لم يصـدر حكما جازما ضـد كل نجوى ، واســتثني منها نجوى من أمر بصــدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ، بل ويجزي عليها حسن الثواب ؛ لذلك قال : ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ .

ويســتخدم الحق ســبحانه هنا كلمة " ســوف " ، وكان من الممكن أن يـأتي القول : " فســنؤتيه أجرا عظيما " لكن لدقة الأداء القرآني البالغة جاءت بأبعد المسافات وهي " سوف " . ونعرف أن جواب شرط الفعل إذا ما جاء علي مســافة قريبة فنحن نســتخدم " الســين " ، إذا ما جاء جواب الشرـط علي مسافة بعيدة فنحن نستخدم " سوف " . وجاء الحق هنا بـ " سوف " لأن مناط الجزاء هو الآخرة ، فإياك أيها العبد المؤمن أن تقول : لماذا لم يعطني الله الجزاء علي الطيب في الدنيا ؟ ؛ لأن الحق ســبحانه وتعالي لم يقل : " فســنؤتيه ولكنه قال : (فسـوف نؤتيه أجرا عظيما) مما يدل علي أن الفضـل والإكرام من اللـه ؛ وإن كـان عـاجلا ليس هو الجزاء علي هذا العمل ؛ لأن جزاء الحق ســبحانه لعباده المؤمنين ســيكون كبيرا ، ولا يـدل علي هـذا الجزاء في الآخرة إلا " فســوف " . ونعرف أن الرسول ﷺ حين يمني أمته الإيمانية بشئ فهو يمنيها بالآخرة ، ولننظر إلي بيعة العقبة عندما جاء الأنصار من المدينة لمبايعة رسـول الله ﷺ فقال لهم رسـول الله ﷺ وحوله جماعة من أصـحابه : " بايعوني علي ألا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ، ولا تقتلوا أولادكم ، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ، ولا تعصوا في معروف ، فمن وفي منكم فأجره علي

الله ، ومن أصـــاب من ذلك شـــيئا فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له ، ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه " ..

لقـد أخـذت لنفســـك يا رســـول الله ، ونحن نريد أن نأخذ لأنفســـنـا ، ماذا لنا إن نحن وفينا بهذا ؟ ولنر عظمة الجواب وإلهامية الرد ، قال الرسولﷺ : " لكم الجنة " .

كـان في اســـتطـاعـة رســـول اللـه ﷺ أن يقول لهم : إنكم ستنتصرون وإنكم ستأخذون مشارق الأرض ومغاربها وسيأتي لكم خير البلاد الإسلامية كلها ، لكنه بحكمته لم يقل ذلك أبدا فقد يسـتشـهد واحد منهم في قتال من أجل نصرـة دين الله ، فماذا ســـيـأخذ في الدنيا ؟ إنه لن يأخذ حظه من التكريم في الـدنيـا ، ولكنـه ســـينال الجزاء في الآخرة ؛ لذلك جاء بالجزاء الذي ســيشــمل الكل ، وهو الجنة ليدلهم علي أن الدنيا أتفه من أن يكون جزاء اللـه محصـــورا فيها ، ويحض كل المؤمنين علي أن يطلبوا جزاء الآخرة ؛ ونعلم جميعـا هـذه الحكـايـة ، ونجد رجلا يقول لصـاحبه : أتحبني ؟ فيجيب الصاحب : نعم أحبك . فيسأل السائل : علي أي قدر تحبني ؟ يقول الصاحب : قدر الدنيا . فيقول الرجل : ما أتفهني عندك !!

يقول الحق سـبحانه : ﴿ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴾

ومن صـاحـب " نؤتيـه " والفـاعـل لهـذا العطاء ؟ إنه الحق سـبحانه وتعالي الذي وصـف الأجر بأنه أجر عظيم ، وكأن الحق يبلغنا : ـــ يا معشر الأمة الإيمانية التحموا بمنهج رسول الله ﷺ وامتزجوا به ؛ لتكونوا معه شـيئا واحدا ، وإياكم أن يكون لكم رأي منفصل عن المنهج ؛ فهو صلي الله عليه وسلم مبلغ عن الله ، فمن آمن به فليلتحم به .

ولذلك نجد سيدنا أبا بكر الصديق ـــ رضي الله عنه ـــ ساعة حدثوه في حكاية الإسراء والمعراج نجده يسـأل محدثه : أقال رسول الله ما قتلتموه ؟ فيقولون : بلي ، لقد قال . فيرد عليهم الصديق : إن كان قال فقد صدق ؛ فالصدق أبو بكر لا يحتاج إلي دليل علي صدق ما قال رسول الله ﷺ. ويأتي الحق بالمقابل فيقول سبحانه :

﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾

(النساء ١١٥)

وكلمة " يشـــاقق " تدل علي أن شـــقا قد حدث في أمر كان ملتحما ، مثلما نشـــق قطعة الخشـــب فنجعلها جزئين بعد أن كـانـت كتلـة واحـدة ، وأنتم أيها المؤمنون قد التحمتم بمنهج رسـول الله ﷺ إيمانا ، واعترفتم به رسـولا ومبلغ صـدق عن الله ، فإياكم أن تشرخوا هذا الالتحام ، فإن جاء حكم وحاول أحد المؤمنين أن يخرج عنه ، فهذا شقاق للرسول ﷺ والعياذ بـالله . أو المعني : ومن ســـلـك غير الطريقـة التي جـاء بها الرسول ﷺ بأن صار في شق وشرع الله في شق آخر .

(ومن يشـاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدي) نعم فقد تبين الهـدي للمســـلم حينما آمن بـاللـه خـالقـا وربـا ، وآمن بالرســـول ﷺ مبلغا ، وهو بذلك قد أســـلم زمامه إلي الله ؛ ولـذلـك قلنـا : إن عمـل العقـل هو أن ينظر في أدلـة الوجود الأعلى لله ، فإذا ما آمن الإنســـان بالوجود الأعلى لله ، بقيت مرتبة ، وهي أن يؤمن الإنسـان بالرسول المبلغ عن الله ؛ لأن قصـارى ما يطلبه العقل من الدليل الإيماني علي وجود الله أن وراء الإنســـان ووراء الكون قوة قادرة حكيمة عالمة فيها كل صفات الكمال .

إن العقل لا يستطيع معرفة اسم هذه القوة ، ولا يستطيع العقل أن يتعرف علي مطلوباتها ؛ لذلك لا بد من البلاغ عن هذه القوة ، وإذا تبين للإنسان الهدي في الوجود الأعلى وفي البلاغ عن الله فلا بد للإنسان أن يلتحم بالمنهج الذي جاء به المبلغ عن الله ، ويفعل الإنسان مطلوب القوة العليا ؛ لأن الله قد أمر به ؛ ولأن رسول الله صلي الله عليه وسلم قد بلغ الأمر أو فعله أو أقره . أما إذا دخل الإنسان في مماحكات فإننا نقول له : راجع إيمانك بالله أولا ، وإيمانك برسول الله ﷺ ثانيا .

والهدي ــ كما نعرف ــ هو الطريق الموصل إلي الغاية ، فكل فعل من أفعال الخلق لا بد له من هدف . ومن فعل فعلا بلا هدف يعتبره المجتمع فاقدا للتمييز . أما إذا كان الإنسان صاحب هدف فهو يتعرف علي جدية هدفه وأهميته ، ويبحث له عن أقصر طريق ، هذا الطريق هو ما نسميه الهدي ، ومن يعرف الطريق الموصل إلي الهدي ثم يتبع غير سبيل المؤمنين فهو يشاقق الرسول ﷺ ، ولا يلتحم بمنهج الإيمان ولا يلتزم به ، ومن يشاقق إنما يرجع عن إيمانه .

وهكذا نعرف أن هناك سبيلا وطريقا للرسول ، ومؤمنين اتبعوا الرسول بالتحام بالمنهج ، ومن يشاقق الرسول يخالف المنهج الذي جاء به الرسول ، ويخالف المؤمنين أيضا .

والحق هو القائل :

قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾

(الأنعام ١٥٣)

فليس للحق إلا سبيل واحد ، ومن يخرج عن هذا السبيل فما الذي يحدث له ؟ ها هي ذي إجابة الحق سبحانه : (نوله ما تولي ونصـــله جهنم وســـاءت مصــيرا) . وقد يأتي لفظ من المحتمل أن يكون أداة شرط ويحتما أن يكون اســما موصــولا مثل قولنا : من يذاكر ينجح . (بالضم فيهما) ، و" من " هنا اســم موصـــول ؛ فالذي يذاكر ينجح . وقد نقول : من يذاكر ينجح . (بالسكون) وهنا " من " شرطية .

وفي الاســم الموصــول نجد الجملة تســير علي ما هي ، أما إذا كانت شرطية ، فهناك الجزم الذي يقتضيـــ ســـكون الفعل ، ويقتضي ـــ أيضا ـــ جواب للشرط . و"من " تصلح أن تكون اسما موصولا ، وتصلح أن تكون أداة شرط ، ونتعرف ـ عادة ـ علي وضعها مما يأتي بعدها ، مثال ذلك قول الحق سبحانه :

(ومن يشـــاقق الرســـول من بعد ما تبين له الهدي ويتبع) ونجد " يتبع " هنا عليها سـكون الجزم ، وهذا يدل علي أن " من " شرطية .

وتختلف لو اعتبرنا " من " اسـما موصـولا ؛ لأن هذا يستدعي ترك الفعل " يشاقق " في وضعه كفعل مضارع مرفوع بالضمة ، وكذلك يكون " يتبع " فعلا مضـارعا مرفوعا بالضـمة ؛ عند ذلك نقول : " نوليه ما تولي ونصليه " . ولكن إن اعتبرنا " من " أداة شرط ـــ وهي في هذه الآية شرطية ـــ فلا بد من جزم الفعل فنقرأها (ومن يشـــاقق الرســـول من بعد ما تبين له الهـدي) ، وكذلك نجزم الفعل المعطوف وهو قوله " ويتبع " ويجزم جواب الشرـط وما عطف عليه وهو قوله : " نوله " " ونصـــلـه " والجواب وما عطف عليه مجزومان بحذف حرف العلة وهي الياء من آخره (ويتبع غير سـبيل المؤمنين نوله ما تولي ونصله جهنم وساءت مصيرا) .

ومعني " تولي " أي : قرب ، ويقال : فلان ولي فلانا ؛ أي : صار قريبا له ، ومن يتبع غير سـبيل المؤمنين ، فالحق لا يريده بل ويقربه من غير المؤمنين ويكله إلي أصحاب الكفر . وها هو ذا الحق سـبحانه يقول : " أنا أغني الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه " .

فالذي يحتاج إلي الشرك هو من به زاوية من ضعف ، ويريد شريكا ليقويه فيها . وعلي سبيل المثال ـ ولله المثل الأعلى ـ لا نجد أحدا يشارك واحد علي تجارة إلا إذا كان لا يملك المال الكافي لإدارة التجارة أو لا يستطيع أن يقوم علي شأنها .

والحق سبحانه حين يعلمنا : " أنا أغني الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه"

أي : أن له مطلق القوة الفاعلة التي لا تحتاج إلي معونة ، ولا تحتاج إلي شريك ؛ لأن الشركة أول ما تشهد فإنها تشهد ضعفا من شريك واحتياجا لغريب ؛ ولذلك فمن يشاقق الرسول في أمر إيماني فالحق يوليه مع الذي كفر ويقربه من مراده . وسبحانه يعلم أن الإنسان لن ينتفع بالشيء المشاقق لرسول الله ، بل يكون جزاء المشاقق لرسول الله ﷺ والمتبع لغير سبيل المؤمنين أن يقربه الله ويدنيه من أهل الكفر والمعاصي ، ويلحقه بهم ويحشره في زمرتهم ، ولا يعني هذا أن الله يمنع عن العبد الرزق ، لا فالرزق للمؤمن وللكافر ، وقد أمر الله الأسباب أن تخدم العبد أن فعلها ، ومن رحمة الله وفضلة أنه لا يقبض النعمة عن مثل هذا العبد ، فالشمس تعطي الضوء والحرارة ، والهواء يهب عليه ، والأرض تعطيه من عناصرها الخير :

قال تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ ﴾

(الشورى ٠٢٠)

وقال تعالى : ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ﴾

(الإسراء ٠٢٠)

وهكـذا نجد العطاء الرباني غير مقصــور علي المؤمنين فقط ، ولكنـه للمؤمن وللكـافر ، ولو لم يكن للـه إلا هـذه المســألة لكانت كافية في أن نلتحم بمنهجه ونحبه .

(ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولي ونصله جهنم وساءت مصــيرا) ولا بـد أن يكون المصــير المؤدي إلي جهنم غاية في السوء .

عقاب المسيء

قال تعالى: ﴿ لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ١٢٣ ﴾

(النساء ١٢٣)

والأمنية هي أن يطمح الإنسان إلي شئ ممتع مسعد بدون رصيد من عمل ، والحق سبحانه وتعالي حينما استخلف الإنسان في الأرض طلب منه أن يستقبل كل شئ صالح في الوجود استقبال المحافظ عليه ، فلا يفسد الصالح بالفعل ، وإن أراد الإنسان طموحا إلي ما يسعد ، فعليه أن يزيد الصالح صلاحا .

والمثل الذي نضربه لذلك ، عندما يوجد بئر يشرب منها الناس ، فهذه البئر لها حواف وجوانب وأطراف ، وتفسد البئر إذا جاء أحد لهذه الحوافى وأزاح ما فيها من الأتربة ليطمر البئر.

ومن يرد استمرار صلاح البئر فهو يتركها كما هي ، وبذلك يترك الصالح علي صلاحه ، وإن شاء إنسان أن يطمح إلي عمل مسعد ممتع له ولغير فهو يعمل ليزيد الصالح صلاحا .. كأن يأتي إلي جوانب البئر ويبني حولها جدارا من الطوب كي لا

يتســلل التراب إلي الماء أو علي الأقل يصــنع غطاء للبئر ، فإن طمح الإنســان أكثر فهو يفكر في راحة الناس ويحاول أن يوفر عليهم الــذهــاب إلي البئر ليملأوا جرارهم وقربهم فيفكر في رفع المياه بمضخة ماصة كابسـة إلي صهريج عال ، ثم يخرج من هذا الصـــهريج الأنابيب لتصـــل إلي البيوت ، فيأخذ كل واحد المياه وهو مرتاح ، إنه بذلك يزيد الصالح صلاحا .

أمـا إن أراد الإنســـان أن يطمح إلي متعـة دون عمل .. فهذه هي الأمـاني الكـاذبـة ، ولو ظـل إنســـان يحلم بالأمنيات ولا ينفذها بخطة عمل ... فهذه هي الأماني التي لا ثمرة لها سوي الخيبة والتخلف .

إذن : فالأمنية هي أن يطمح إنســـان إلي أمر ممتع مســـعد بدون رصـيد من عمل . ونحن نعلم أن الحق سـبحانه وتعالي أعطانا من كل شـئ سببا ، ولنلحظ أن الحق سبحانه قد قال :
(فأتبع سببا)

"الكهف :٨٥"

أي : أن الإنسان مطالب بأن يصنع أشياء ترقي أساليب الحياة في الأرض ، فالله سبحانه ضمن للإنسان ــ الخليفة ــ مقومات الحياة الضرورية ، وعندما يريد الإنسان الترف والتنعم فلا بد أن يكدح .

وقد أعطي الحق سبحانه الإنسان المطر فينزل الماء من السماء ، وينزل ماء المطر في مجار محددة ، حفرها المطر لنفسه ، وقد يكون في كل مجري تراب من صخور أو طمي ؛ لذلك يقوم الإنسان بتقطير المياه ، ويرفعها في صهاريج لتأتيه إلي المنزل ، وبدلا من أن يشربها بيده من النهر مباشرة ، يصنع كوبا جميلا ، وصنع الإنسان الكوب في البداية من الفخار ، ثم من مواد مختلفة كالنحاس ثم البللور ، وهكذا نجد أن كل ترف يحتاج إلي عمل يوصل إليه ، فليست المسألة بالأماني .

وكذلك الانتساب إلي الدين ، ليست المسألة أن يمتثل الإنسان وينتسب إلي الدين شكلا ، فالرسول صلي الله عليه وسلم جاء ليحكم بين الناس جميعا ، ولا يمكن لواحد أن ينتسب شكلا إلي الإسلام ليأخذ المميزات ويتميز بها عن بقية خلق الله من الديانات الأخرى ، لا ؛ فالإنسان محكوم بما يدين به . والمسلم أول محكوم بما دان به .

كذلك قال الحق سبحانه : (ليس بأمانيكم) والخطاب هنا لمن ؟ إن كان الخطاب للمؤمنين فالحق سبحانه يبين لهم : يأيها المؤمنون ليست المسألة مسألة أماني ، ولكنها مسألة عمل ؛ لإن انتسابكم للإسلام لا يعفيكم من العمل ؛ فكم من أناس يعبرون الدنيا وتنقضي حياتهم ولا يصنعون حسنة ، فإذا قيل لهم : ولماذا تعيشون الحياة بلا عمل ؟ يقولون : أحسنا الظن بالله . ونسمع الحسن البصري يقول لهؤلاء :

ليس الإيمان بالتمني ، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل ، إن قوما ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم ، وقالوا : نحسن الظن بالله وكذبوا ، لو أحسنوا العمل له .

والحق سبحانه يقول لهؤلاء : (ليس بأمانيكم) .

أما إن كان الخطاب موجها لغير المؤمنين ؛ فالحق سبحانه لم يمنع عطاء الدنيا لمن أخذ بالأسباب حتى لو لم يؤمن . أما جزاء الآخرة فهو وعد منه سبحانه للمؤمنين الذين عملوا صالحا ، وهو الوعد الحق بالجنة ، هذا الوعد الحق ليس بالأماني بل إن الوصول إلي هذا الوعد يكون بالعمل .

إذن : فقد يصح أن يكون الخطاب بـ (ليس بأمانيكم) شاملا أيضا الكفار والمنافقين وأهل الكتاب ، وكان للكفار بعض الأماني كقول المنكر للبعث قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ ﴾

(الكهف ٠٣٦)

هـذه هي أمـاني الكفـار، ولن يتحقق هذا الوعد بالجنة لأهل الكتاب ، فقد قال الحق سبحانه عن أمانيهم :

قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١١١ ﴾

(البقرة ١١١)

وقال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةٗۚ قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدًا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٠ ﴾

(البقرة ٠٨٠)

كـل هـذه أمـاني خـادعـة ؛ لأن منهج اللـه واحـد علي النـاس أجمعين ، من انتسـب للإسـلام الذي جاء خاتما فليعمل ؛ لأن القضية الواضحة التي يحكم بها الله خلقه هو قوله سبحانه : (من يعمل سـوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصـيرا) وأبو هريرة رضي الله عنه يقول : لما نزلت هذه الآية شق ذلك علي المسلمين فقال لهم رسول الله ﷺ:" سددوا

وقاربوا فإن في كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى الشوكة يشاكها والنكبة ينكبها " .

وقال بعض العلماء : المراد بالسوء في هذه الآية هو الشرك بالله ؛ لأن الله وعد أن يغفر بعض الذنوب ، واستندوا في ذلك إلي قول الحق سبحانه : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ٣٦ ﴾

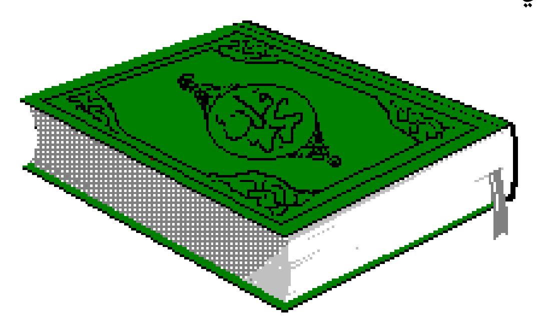
(فاطر ٠٣٦)

كأن الجزاء المؤلم يكون للكفار ، أما الذين آمنوا فالإيمان يرفعهم إلي شرف المنزلة ليقبل الله توبتهم ويغفر لهم ، فسبحانه الحق جعل الصلاة إلي الصلاة كفارة لما بينهما ، وجعل صلاة الجمعة إلي صلاة الجمعة كفارة لما بينهما ، وجعل الحج كفارة لما سبقه ، وكل ذلك امتيازات إيمانية ، أما جزاء الكفار فهو : (من يعمل سواء يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا) .

ولا يقال : فلان لا يجد ، إلا إذا هذا الشخص عن شئ فلم يجده ، فالإنسان بذاته لا يستغني ولكن من يعمل سوءا فليبحث لنفسه عن ولي أو نصير ولن يجد .

والولي هو الذي يلي الإنسان ، أي : يقرب منه ، ومثلها النصير والمعاون ، ولا يلي الإنســـان ولا يقرب منه إلا من أحبة ، وما دام قـد أحـب قوي ضــعيفا ، فهو قـادر علي الـدفـاع عنـه ومعاونته .

ولماذا أورد الحق هنا " الولي " ، و" النصـير " ؟ والولي ـــ كما عرفنا ـــ هو القريب الذي يلي الإنسـان . أما كلمة " نصـير " فتوحي أن هناك معارك وخصـومة بين المؤمن وغيره ، وهناك قوة كبري قد يظهر للإنسـان أنها لا تسـأل عنه لأنه في سـلام ورخاء ، وهذه القوة عندما تعلم أن هناك خصـــوما للمؤمن تأتي لنصرته ، بينما لا يجد الكافر وليا أو نصيرا ، ولن يجد من يقرب منه ولن يجد من ينصرـه إن عضــته الأحداث ، وعض الأحداث هو الذي يجعل الناس تتعاطف مع المصاب حتى إن البعيد عن الإنســان يفزع إليه لينصرـه ، لكن أحدا لا ينصرـ علي الله .



يوم تبيـض

وجـوه وتسـود وجـوه

قال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾

(آل عمران ١٠٦)

يجب أن نعلم أن الاسـوداد والابيضـاض هما من آثار اختلاف البيئات في الدنيا ؛ فالشـخص الأسود يزيد الله في تكوينه عن الشـخص الأبيض بما يناسـب البيئة ؛ لأن المادة الملونة للبشرة في جســده موجودة بقوة ؛ لتعطيه اللون المناسـب لمعايشـة ظروف البيئة ، أما أبيض البشرة فلا يملك جسده القدر الكافي من المادة الملونة ، لأن بيئته لا تحتاج مثل هذه المادة الملونة .

إذن : فالســواد في الدنيا لصــالح المسـود ، أما في هذه الآية ، فهي تتحدث عما ســوف نراه في الآخرة حيث يكون الســواد والـبيـاض مختلفين ، تمـامـا كما تتبـدل الأرض غير الأرض والسموات غير السموات ، وكذلك يتبدل أمر السواد والبياض

، إنـه لن يكون ســوادا أو بياضــا من أجل البيئات ؛ ولذلك ســتتعجب يوم القيامة ؛ لأنك قد تري إنســانا كان أســود في الدنيا ، وتجده أبيض في الآخرة ، وتجد إنســانا آخر كان ولونه أبيض في الدنيا ثم صار أسود في الآخرة .

فلا يظن ظان أن الإنسان الأسود في الدنيا مكروه من الله ، لا ، إن الله يعطي كل واحد ما يناســبه ، بدليل أن الله قد أمده بـاللون الـذي يقويـه علي البيئـة التي يحيـا فيها ، وفي مجالنا البشري ، نحن نعطي المصل لأي إنسان مسافر إلي مكان ما ؛ حتى نحميه من شر مرض في المكان الذي يذهب إليه ، كذلك خلق الله في الأرض فقد أعطي سبحانه لكل إنسان في تكوينه المناعة التي تحفظه ؛ فالله لا يكره السواد لأنه حماية للإنسان من البيئة .

وهذه المســألة ســتتبدل يوم القيامة كما تتبدل الأرض غير الأرض ، وتبيض الوجوه المؤمنة ، وتسود الوجوه الكافرة .

أو أن البياض والســواد كليهما ، أمر اعتباري ، بدليل أنك تري واحدا أبيض ولكن وجهه عليه غبرة ترهقه قترة ، وتري واحدا آخر أسـود اللون ولكن نور اليقين يملأ وجهه ، وبريق الصـلاح يشع منه ، وأنت لا تقدر أنتمنع عينيك من أن تديم النظر

إليه ، ولذلك قال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾

(القيامة ٢٢-٢٣)

أي : أن ما في داخل النفس إنما يتضح علي قالب الإنسان ؛ وتظهره ملامحه ، فقد يكون الأسود مضيء الوجه بالبشر والإشراق والتجلي بالجاذبية الآسرة ، وقد يكون الإنسان أبيض الوجه لكنه مظلم الروح .

انتهى كلام الشيخ

صفة أهل الجنة في الدنيا

عن ابن وهب: سمعت ابن زيد يقول: وصف الله أهل الجنة بـالمخـافـة والحزن والبكـاء والشـــفقـة فى الدنيا، فأعقبهم به النعيم والسرــور فى الآخرة، وقرأ قول الله تعالى عز وجل: {إنا كنا قبل فى أهلنا مشفقين} قال: ووصف أهل النار بالسرور فى الـدنيـا والضـــحـك فيهـا والتفكـه، فقال: {إنه كان فى أهله مسرورًا إنه ظن أن لن يحور بلى} [الانشقاق: ١٣ - ١٥]، وقد تقدم من صفة أهلها ما فيه كفاية، والحمد لله وحده.

صفة أهل الجنة
ونعيمها وما أعد الله لهم

عن أبي هريرة قال: قال رسـول الله ﷺ: (يقول الله عز وجل: أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلـب بشرـ ذخرًا بلـه مـا أطلعتكم عليه)، ثم قرأ رســول الله ﷺ: {فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين} [السـجدة: ١٧]، بله بمعنى غير، وقيل: اسـم من أسـماء الأفعال بمعنى دع.

وعن أســامـة بن زيـد قـال: قال رســول الله ﷺ ذات يوم لأصــحابه: (ألا مشــمر للجنة؟ بأن الجنة لا خطر لها، وهى، ورب الكعبة، نور يتلألأ، وريحانة تهتز، وقصرـ مشـيد، ونهر مطرد، وفاكهة كثيرة نضـيجة، وزوجة حســناء جميلة، وحلل كثيرة فى مقام أبد فى جدة ونضرـة، فى دار عالية سـليمة بهية، قالوا: نحن المشـمرون لها يا رسـول الله، قال: قولوا إن شـاء الله، ثم ذكر الجهاد وحض عليه).

وعن أبي هريرة قـال: قلت: يا رســول الله، مم خلق الخلق؟ قال: (من الماء)، قلت: الجنة، ما بناؤها؟ قال: (لبنة من فضـة ولبنـة من ذهـب بلاطها المســك الأذفر، وحصــباؤها اللؤلؤ والياقوت، وتربتها الزعفران، من دخلها ينعم لا ييأس، ويخلد

لا يموت، لا تبلى ثيابهم، ولا يفنى شــبابهم)، وذكر الحديث، وقال: ليس إســناده ذلك بالقوى، وليس هو عندى بمتصــل، وقد روى هذا الحديث بإســناد آخر عن أبى هريرة، رضى الله عنه، عن النبى ﷺ.

وعن أبو المدله، مولى أم المؤمنين، أنه ســمع أبا هريرة يقول: قلنـا: يا رســول الله، إذا كنا عندك رقت قلوبنا وكنا من أهل الآخرة، فإذا فارقناك وشـممنا النسـاء والأولاد أعجبتنا الدنيا؟ فقـال رســول اللـهﷺ: (لو أنكم تكونون إذا فـارقتمونى كما تكونون عنـدى، لصــافحتكم الملائكـة بـأكفهـا، ولزارتكم فى بيوتكم، ولو كنتم لا تـذنبون، لجـاء اللـه بقوم يـذنبون كى يسـتغفروا فيغفر لهم)، قلنا: يا رسـول الله، أخبرنا عن الجنة، مـا بنـاؤها؟ قال: (لبنة من ذهب، ولبنة من فضـــة، وملاطها المســك الأذفر، وحصــباؤها الدر والياقوت، وترابها الزعفران، من يـدخلها يبقى لا ييأس، ويخلد لا يموت، ولا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه).

تم بحمد الله

الله أرزقنا الجنة

فهرس